حظ أخلاقي!

A Moral Luck

دكتور/ صلاح عثمان (أستاذ المنطق وفلسفة العلم – رئيس قسم الفلسفة – كلية الآداب – جامعة المنوفية – جمهورية مصر العربية)

Salah Osman

(Menoufia University, Egypt)

salah.mohamed@art.menofia.edu.eg

DOI: 10.13140/RG.2.2.26587.03366

مقال منشور بموقع أكاديمية بالعقل نبدأ بتاريخ ١٣ أكتوبر ٢٠٢١

With Mind We Start Academy, 2021, October 13.

تجاربنا الحياتية تكشـــف عن دورٍ ملحوظ للحظ فيما نُصـــدره أو نتلقاه من أحكام؛ الحب، النجاح، الإشـادة والثناء، النفور، الإخفاق، اللوم، ...إلخ، كلها أمور تعتمد على الحظ بقدرٍ كبير. قد تكون مثلاً ذا منصـــبٍ أو مالٍ أو جاه أو سُـــلطة، فتحظى بالثناء الاجتماعي (ولو نفاقًا) وإن كنت أحمقًا لا تســـتحقه، وقد لا تكون كذلك فتحظى بالإهمال، وربما اللوم، وإن كنت تســـتحق العكس! هكذا هو الحظ: عدلٌ مضـاعف في ناحية، وظلمٌ مضـاعف في ناحية أخرى ... ينسـج الواقع والوهم، ويشكل التاريخ، ويرسم ملامح الفكر في أشد جوانب رُشده وعبثيته!

مصـطلح «الحظ الأخلاقي» Moral Luck من وضـع الفيلسـوف الإنجليزي «برنارد وليامز» Bernard Williams (١٩٢٩ – ٢٠٠٣)، وهو أيضًـا عنوان كتاب له نشـره سـنة ١٩٨١، يطرح فيه مشكلة التوفيق بين المسؤولية الأخلاقية والفعل الإرادي، ومدى صعوبة تعميم هذه المسؤولية في ظل ظروف بيئية مختلفة قد يتم فيها إصدار الحُكم الأخلاقي اعتمادًا على عوامل خارجة عن إرادة الفاعل، أو ما دعاه «وليامز» بـ «الحظ».

بعبارة أخرى، يولد الناس ويعيشـــون في ظل ظروف بيئية متفاوتة، وتحكم أفعالهم عوامل متباينة، قد تكون مريحة وقد تكون صعبة، وقد تكون خاضعة للإرادة وقد تكون قهرية، فهل عليهم جميعًا تحمل المسؤولية الأخلاقية بالدرجة ذاتها؟

لنفرض مثلاً أن شـخصًـا فقيرًا قد وُلد في أسـرة فقيرة، وليسـت لديه أية وسـيلة للحصـول على الطعام سوى سرقته، فهل يستوي – من حيث المسؤولية الأخلاقية – مع من وُلد في أسرة ثرية،

ويتوافر لـه الطعـام دون أن يبذل أي جُهد، ومع ذلكم يُمارس الســـرقة؟ وهل ينبغي أن يكون الشــخص الفقير مســتحقًا للوم الأخلاقي أكثر من ذلك الشــخص الغني؟ أليس من المُجحف أن نُحمله ذنب مولده في أسرة فقيرة، دون أن نولى اعتبارًا لمسألة الحظ؟

مثالٌ آخر، لنفرض أن ثمة ســائقين يقودان ســيارتيهما في شــارعين مختلفين، وقد تماثلت الظروف لكليهما في البداية (من حيث كفاءة الســيارتين وتمكنهما من القيادة وتطابق الشــارعين وغير ذلك)، وفجأة أضـاءت الإشارة الحمراء لكليهما في اللحظة ذاتها، وضـغط كلاهما بقوة على مكابح الســيارة لتنحرف به إلى أحد جانبي الطريق، لكن الأول كان حظه عثرًا، حيث صــودف عبور طفل للطريق لحظة انحرافه بســيارته فقتله، أما الثاني فقد كان محظوظًا لأن الطريق كان خاليًا فتوقف ثم واصل سيره بسلام. فهل يتحمل الأول مسؤولية القتل نتيجة حظه العاثر؟

في مقاله «الحظ الأخلاقي» Moral Luck (١٩٧٩)، ميَّز الفيلســـوف الأمريكي «توماس ناجل» Thomas Nagel بين أربعة أنواع من الحظ الأخلاقي؛ الأول هو الحظ الأخلاقي الناجم عن المواقف والأفعال Resultant moral luck (consequential)، ومثاله شـــخصٌ ما، وليكن طبيبًا، ترك عمله الإنساني كمُعالج ومُنقذ للأرواح، وهو العمل الذي يُدر عليه أيضًا دخلاً طيبًا، لكي يُمارس هوايته الفنية أيًا كانت. هنا يكون النجاح هو المعيار الأساسي للحُكم، ولو تأملنا كثرةً من مواقفنا وأفعالنا الحياتية لوجدنا أنها كانت ستلقى استنكارًا حال فشلها، لكن نجاحها – المرهون بالحظ في الغالب – يُحول الاســـتنكار إلى مدحٍ وثناء! أما النوع الثاني فهو الحظ الأخلاقي الظرفي Circumstantial moral luck (بمعنى أن يكون المرء محظوظًا أو غير محظوظ وفقًا للظروف المُحيطة به)؛ والمثال الذي ضـربه «ناجل» في هذا الصـدد هو أتباع النازية في ألمانيا بعد صعود هتلر؛ لقد كانوا جميعًا وما زالوا يستحقون اللوم الأخلاقي، إما لارتكابهم أفعالاً إجرامية بغيضـة أخلاقيًا، أو لسماحهم بارتكاب هذه الجرائم بدون بذل أي جُهد لمعارضـتها وإيقافها. على أنه لو أتيح لهؤلاء الأتباع التواجد في بلدٍ آخر سنة ١٩٢٩، بعيدًا عن التوجهات والأوامر العدائية لأرباب الحُكم، فمن المحتمل أنهم كانوا سيعيشون حياةً مختلفة تمامًا، وما كان بإمكاننا وقتئذٍ أن نلقي بالقدر ذاتـه من اللوم الأخلاقي عليهم! وأما النوع الثالث فهو الحظ الأخلاقي التكويني Constitutive moral luck (أي الحظ المُتعلق ببنية الشـــخص من حيث الشـــكل أو الطبع أو الشــخصــية أو الموهبة، تأثرًا بالجينات المتوارثة والتعليم والبيئة)؛ فقد يكون المرء مثلاً أنانيًا، أو جاهلاً، أو فظًا غليظ القلب، ومن ثم يكون عُرضــة للوم الأخلاقي، في حين أن هذه الســمات قد ترجع جزئيًا إلى البنية التكوينية! وأما النوع الرابع والأخير فهو الحظ الأخلاقي الســببي Causal moral luck، وهو مكافئ لمشكلة الإرادة الحرة إلى حدٍ كبير، ومؤداه أن أفعالنا محكومة بمتسلسلة

ســـببية من الحوادث المُســـبقة، وبالتالي فهي نتائج لحوادث غير خاضـــعة لإرادتنا ولا نتحمل مسؤوليتها!

المسألة هنا ليست دينية، وإلا لأشرنا ببساطة إلى أهم شروط تحمل المسؤولية الأخلاقية وفقًا للأديان، وهي الأهلية والنية وحرية الإرادة، لكن المشكلة هي صعوبة البت في هذه الشروط من بيئة نوعية إلى أخرى، وفي ظل عوامل يتخللها عنصر المصادفة، فضلاً عن صعوبة التعويل على عامل الحظ رغم وجوده، وإلا لأعفي الناس جميعًا من مسؤولياتهم الأخلاقية!

ما أقسى أن تكون فيلسوفًا!

- **توثيق المقال بنظام APA:**

عثمان، صلاح (١٣أكتوبر ٢٠٢١). «حظ أخلاقي». أكاديمية بالعقل نبدأ، القاهرة. تم الاسترداد بتاريخ ٢٩ ديسمبر ٢٠٢١ من:

https://mashroo3na.com/إصدارات/مقالات/حظ-أخلاقي/

APA Citation:

Osman, S. (عثمان، ص) (2021, October 13). A Moral Luck (حظ أخلاقي). Retrieved December 29, 2021, from https://mashroo3na.com/إصدارات/مقالات/حظ-أخلاقي/

***